38 Surah Swad Safwat at Tafsir Sabuni

تفسير سورة ص

تفسير صفوة التفاسير:

محمد علي الصابوني

مُحمَّد علي الصَّـابُونيّ، أحد أبرز علماء أهل السـنة والجماعة في العصـر الحديث، ومن المتخصصين فيعلم تفسير القرآن،

وهو مؤلف كتاب" صـفوة التفاسـير ."اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ليكون شخصية العام الإسلامية لعام 2007،

وذلك لجهوده في خدمة الدين الإسـلامي من خلال العديد من الكتب في المؤلفات وخاصـة تفسير القرآن[1].

تفسير صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني

(ميلاد 1930م –) (حلب السوريه)

{ صۤ وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ } *1 { بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ }2
*** { كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ }**
3 * { وَعَجِبُوۤاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هَـٰذَا سَاحِرٌ
كَذَّابٌ } *4 { أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَـٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }
5 * { وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَـٰذَا

لَشَيْءٌ يُرَادُ } *6 { مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلآخِرَةِ إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ
ٱخْتِلاَقٌ } * 7{ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فَي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي
بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ } *8 { أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْوَهَّابِ } *9 { أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى
ٱلأَسْبَابِ } * 10{ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّن ٱلأَحَزَابِ } *11 { كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرْعَوْنُ ذُو ٱلأَوْتَادِ } *12 { وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ
وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُوْلَـٰئِكَ ٱلأَحْزَابُ } *13 { إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ
عِقَابِ } *14 { وَمَا يَنظُرُ هَـٰؤُلآءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ }
*15{ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ } *16 { ٱصْبِر
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا ٱلأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ } *17 { إِنَّا
سَخَّرْنَا ٱلجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلإِشْرَاقِ } 18* { وَٱلطَّيْرَ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ } *19 { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ
ٱلْخِطَابِ } *20 { وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ }
*21 { إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ
بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ
ٱلصِّرَاطِ } *22 { إِنَّ هَذَآ أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ
وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ } *23 { قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا

فَتَنَّاهُ فَٱسْـــتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ } 24*{ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـــآبٍ } *25 { يٰدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِـلَّكَ عَن سَـبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ }26

اللغَة: { عِزَّةٍ } تكبر وامتناع عن قبول الحق، وأصـــلها الغلبة والقهرُ ومنه قولهم " من عَزَّ بزَّ " يعني من غلب سلب

{ شِقَاقٍ } مخالفة ومباينة

{ مَنَاصٍ } المناص: الملجأ والغوث والخلاص

{ عُجَابٌ } بالغ الغاية في العجب قال الخليل: العجيب: العجب، والعُجَاب الذي قد تجاوز حدَّ العجب

{ ٱخْتِلاَقٌ } كذب وافتراء

{ فَوَاقٍ } الفَوَاق: الاســـتراحة، والإفاقة قال الجوهري: الفواق والفواق: ما بين الحلبتين من الوقت، لأنها تحلب ثم تترك ساعة يرضعها الفصيل لتدرَّ ثم تُحلب وقوله تعالى { مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ } أي ما لها من نظرة وراحة وإفاقة

{ قِطَّنَا } القِطُّ: الحظُّ والنصيب

{ ٱلأَيْدِ } القوة في العبادة والطاعة

{ تَسَوَّرُواْ } تسور الحائط علا أعلاه وتسلقه، والسور: الحائط

{ تُشْطِطْ } قال علماء اللغة: الشَّطط: مجاوزة الحد وتخطي الحق، يقال: شطَّ في الحكم أي جار فيه ولم يعدل، والأصل فيه: البعدُ من شطَّت الدار بمعنى بعدت.
التفسير: { ص } تقدم الكلام على الحروف الهجائية، وبينا أن فيها الإشارة إلى إعجاز القرآن

{ وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ } قسمٌ أقسم به الباري جل وعلا أي والقرآن ذي الشرف الرفيع، وذي الشأن والمكانة، وجواب القسم محذوف تقديره إن هذا القرآن لمعجز وإن محمداً لصادق قال ابن عباس: { ذِي ٱلذِّكْرِ } أي ذي الشرف

{ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ } أي بل الكافرون في حميةٍ وتكبرٍ عن الإيمان، وفي خلافٍ وعداوة للرسول عليه السلام

قال البيضاوي: أي ما كفر من كفر بالقرآن لخلَلٍ وجده فيه بل الذين كفروا به

{ فِي عِزَّةٍ } أي استكبار عن الحق

{ وَشِقَاقٍ } أي خلاف للهِ ولرسوله ولذلك كفروا به

{ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ } أي كم أهلكنا قبل أهل مكة من أمم كثيرة من القرون الخالية، لكبرهم عن الحق ومعاداتهم لرسلهم، قال أبو السعود: والآية وعيد لأهل مكة على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين

{ فَنَادَواْ وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ } أي فاستغاثوا واستجاروا عند نزول العذاب طلباً للنجاة، وليس الحينُ حينَ فرارٍ ومهرب ونجاة

قال ابن جزي: المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك، إذ ليس الحين الذي دعوا فيه حين مناص أي مفر ونجاة من ناص ينوص إذا فرَّ، ولات بمعنى ليس وأصلها لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث

{ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ } أي وعجب المشركون من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم واستبعدوا أن يبعث الله رسولاً من البشر

{ وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هَـٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ } أي وقال كفار مكة: إن محمداً ساحرٌ فيما يأتي به من المعجزات

{ كَذَّابٌ } أي مبالغ في الكذب في دعوى أنه رسول الله، وإنما وضع الاسم الظاهر

{ ٱلْكَافِرُونَ } مكان الضمير " وقالوا " غضباً عليهم، وذماً لهم وتسجيلاً لجريمة الكفر عليهم، فإن هذا الاتهام لا يقوله إلا المتوغلون في الكفر والفسوق

{ أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَـٰهاً وَاحِداً }؟ أي أزعم أن الربَّ المعبود واحد لا إله إلا هو؟

{ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } أي إنَّ هذا الذي يقوله محمد – ان الإله واحد – شيء بليغٌ في العجب قال ابن كثير: أنكر المشركون ذلك ـــ قبَّحهم الله – وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقَّوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأُشربته قلوبهم، فلما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلع الأوثان وإفراد الإله بالوحدانية، أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: { أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَـٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }

قال المفسرون:

"إن قريشـــاً اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كُفَّ ابنَ أخيك عنا، فإنه يعيب ديننا، ويذم آلهتنا، ويسـفِّه أحلامنا، فدعاه أبو طالب وكلَّمه في ذلك، فقال صـلى الله عليه وســلم يا عم: إنما أريد منهم كلمةً واحدة، يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب،

فقال أبو جهل والمشركون: نعم نعطيكها وعشر كلماتٍ معها!!

فقال قولوا: " لا إله إلا الله " فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ويقولون

{ أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَـٰهاً وَاحِداً... }؟ "

فنزلت الآيات { وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُـواْ وَٱصْـبِرُواْ عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ } أي وانطلق أشـراف قريش ورؤسـاء الضــلال فيهم، وخرجوا من عند الرسـول صـلى الله عليه وسلم يقول بعضـهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا محمداً فيما يدعوكم إليه من عبادة الله الواحد الأحد { إِنَّ هَـٰـذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ } أي هذا أمرٌ مدبَّر، يريد من ورائه محمد أن يصــرفكم عن دين آبائكم لتكون له العزة والســيادة عليكم، فاحذروا أن تطيعوه

{ مَا سَـمِعْنَا بِهَـٰـــذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلآخِرَةِ } أي ما ســمعنا بمثل هذا القول في ملة النصـــرانية التي هي آخر الملل، فإنهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد، فيكف يزعم محمد أنَّ الله واحد؟

قال ابن عباس: يعنون بالملة الآخرة دينَ النصرانية

وقال مجاهد وقتادة: يعنون دين قريش أي ليس هذا في الدين الذي أدركنا عليه آبائنا

{ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ ٱخْتِلاَقٌ } أي ما هذا الذي يدعيه محمد إلا كذب وافتراء،

ثم أنكروا اختصاصه عليه السلام بالوحي من بينهم

فقالوا { أَأُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا }؟

الاستفهام للإنكار أي هل تنزَّل القرآن على محمد دوننا، مع أن فينا من هو أكثر منه مالاً، وأعلى رياسةً؟

قال الزمخشري: أنكروا أن يختص صلى الله عليه وسلم بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم، وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم

{ بَلْ هُمْ فَي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي } إضرابٌ عن مقدر تقديره: إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه فلذلك كفروا

{ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ } اضراب انتقالي وغرضه التهديد والمعنى سبب شكهم أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن، ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به

{ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ }؟ هذا ردٌّ على المشركين فيما أنكروا من اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمعنى هل عندهم خزائن رحمته تعالى حتى يعطوا النبوة من شاءوا، ويمنعوها من شاءوا؟

قال البيضاوي: يريد أن النبوة عطيةٌ من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده، فإنه

{ ٱلْعَزِيزِ } أي الغالب الذي لا يغلب

{ ٱلْوَهَّابِ } أي الذي له أن يهب ما يشاء لمن يشاء

{ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّـــمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا }؟ أي هل لهم شـــيء من ملك السماوات والأرض؟ وهو إنكار وتوبيخ

{ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلأَسْبَابِ } أي ان كان لهم شيء من ذلك فليصعدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء، وليدبروا شئون الكون؟ وهو تهكم بهم واستهزاء

قال الزمخشري: تهكم بهم غاية التهكم

فقال: إن كانوا يصـــلحون لتدبير الخلائق، والتصـــرف في قســـمة الرحمة، وكان عندهم من الحكمة ما يميزون بها بين من هو حقيقٌ بالنبوة من غيره، فليصـــعدوا في المعارج التي يتوصلون بها إلى العرش، حين يستووا عليه ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي على من يختارون، وهو غاية التهكم بهم

{ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّن ٱلأَحَزَابِ } التنكير للتقليل والتحقير،

و { مَا } لتأكيد القلة أي ما هم إلا جندٌ من الكفار، المتحزبين على رســل الله، هم عما قليلٍ يُهزمون ويُولون الأدبار، فلا تبال بما يقولون، ولا تكترث بما يهذون.

.ثم أخبر تعالى عما نالَ أسلافهم الكفار من العذاب والدمار فقال

{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرْعَوْنُ ذُو ٱلأَوْتَادِ } أي كذب قبل كفار قريش أممٌ كثيرون منهم قوم نوح، وقوم هود وهم قبيلـة " عـاد " وفرعون الجبـار ذو الملـك الثابت بالأوتاد أو ذو الجموع الكثيرة،

قال بعض المفســرين: ســمي بذي الأوتاد لأنه كان يوتد من يريد تعذيبه بأربعة أوتادٍ في يديه ورجليه ويتركه جتى (حتيٰ؟) يموت

وقيل: لأنه صــاحب الإهرامات والمباني العظيمة الثابتة التي تقوم في الأرض كالأوتاد

{ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْـحَابُ لْئَيْكَةِ } أي وكذبت ثمود وهم قوم صـالح وقوم لوط، وأصحاب الأيكة أي الشجر الملتف وهم قوم شعيب { أُوْلَـٰئِكَ ٱلأَحْزَابُ } أي أولئك هم الكفار الذين تحزبوا على رسـلهم فأهلكهم الله، فليحذر هؤلاء المكذبون لرسـول الله أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم

{ إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ ٱلرُّسُـلَ } أي ما كل من هؤلاء الأحزاب والأمم إلا كذَّب رسـوله الذي أُرسل إليه

{ فَحَقَّ عِقَـابِ } أي فثبت ووجب عليهم عقابي، وحذفت الياء مراعاة لرءوس الآيات

{ وَمَا يَنظُرُ هَـٰـؤُلآءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً } أي وما ينتظر هؤلاء المشركون كفار مكة إلا نفخة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور فيصعقون

{ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ } أي ليس لها من توقف ولا تكرار،

قال ابن عباس: أي ما لها من رجوع

قال المفسرون: أي أن هذه الصيحة إذا جاءت لا تستأخر ولو فترة قصيرة مقدار فواق ناقة وهي المســـــافة بين الحلبتين لأنها تجيء في موعدها المحدد، الذي لا يتقدم ولا يتأخر قال الزمخشري: يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد

{ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَـابِ } أي وقال كفار مكة على سبيل الاستهزاء والسخرية: عجّلْ لنا يا ربنا نصيبنا من العذاب الذي وعدته لنا، قبل أن يجيء يوم القيامة إن كان الأمر كما يقول محمد قال المفسرون: وإنما قالوا هذا على سبيل الاستهزاء كقوله تعالى

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ} [الحج: 47]

{ ٱصْبِر عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ } أي اصبر يا محمد على تكذيبهم فإن الله ناصرك عليهم

قال الصاوي: وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار { وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا ٱلأَيْدِ } أي وتذكرْ عبدنا داود ذلك النبي الشاكر الصابر، ذا القوة في الدين، والقوة في البدن، فقد كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان يقوم نصف الليل { إِنَّهُ أَوَّابٌ } أي كثير الرجوع والإنابة إلى الله، والاوَّابُ: الرجَّاع إلى الله قال أبو حيان: لما كانت مقالة المشركين تقتضي الاستخفاف بالدين، أمر تعالى نبيه بالصبر على أذاهم، وذكر قصصاً للأنبياء " داود، وسليمان، وأيوب " وغيرهم، وما عرض لهم فصبروا حتى فرج الله عنهم، وصارت عاقبتُهم أحسن عاقبة،

فكذلك أنت تصبر ويئول أمرك إلى أحسن مآل { إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلإِشْرَاقِ } أي سخرنا الجبال لداود تسبح معه في المساء والصباح، وتسبيحُ الجبال حقيقةٌ وكان معجزةً لداود عليه السلام كما قال تعالى **{يٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَٱلطَّيْرَ**[سبأ: 10]

{ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ } أي وسخرنا له الطير مجموعة إليه نسبح معه، كلٌ من الجبال والطير رجَّاع إلى طاعته تعالى بالتسبيح والتقديس قال ابن كثير: كانت الطير تسبّح بتسبيحه وترجّع بترجيعه، إذا مرَّ به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه يترنم بقراءة الزبور يقف في الهواء ويسبّح معه، وكذلك الجبال الشامخات كانت تُرجّع معه وتسبّح تبعاً له، قال قتادة:

{ أَوَّابٌ } أي مطيع

{ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ } أي قوينا ملكه وثبتناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود

{ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ } أي أعطيناه النبوَّة والفهم والإصابة في الأمور

{ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ } أي الكلام البيّن الذي يفهمه من يُخاطب به قال مجاهد: يعني إصابة القضاء وفهمه وقال القرطبي: البيان الفاصل بين الحق والباطل قال المفسرون: كان مُلك داود قوياً عزيزاً، وكان يسوسه بالحكمة والحزم معاً، ويقطع ويجزم برأيٍ لا تردد فيه مع الحكمة والقوة، وذلك غاية الكمال في الحكم والسلطان.

{ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ } هذا الاستفهام للتعجيب وتشويق السامع إلى ما يلقى إليه كما تقول لجليسك: هل تعلم ما وقع اليوم؟ تريد تشويقه

لسماع كلامك والمعنى هل أتاك يا محمد خبر الجماعة المتنازعين الذين تسوَّروا على داود مسجده في وقت اشتغاله بالعبادة والطاعة؟

{ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ } أي حين دخلوا عليه من أعلى الســـور فخاف وارتعد منهم

قال المفسرون: وإنما فزع داود منهم لأنهم

- دخلوا عليه بغير إذن،
- ودخلوا من غير الباب،
- في وقت كان قد خصصه للعبادة

{ قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ } أي لا تخف منا فنحن فوجان مختصمان تعدَّى بعضنا على بعض

{ فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ } أي فاحكم بيننا بالعدل،

ولا تجر ولا تظلم في الحكم

{ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَاطِ } أي وأرشدنا إلى وسط الطريق يعني إلى الطريق الحق الواضح

{ إِنَّ هَذَآ أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ } هذه بداية قصة الخصمين أي قال أحدهما: إن صاحبي هذا يملك تسعة وتسعين نعجة – وهي أنثى الضأن – وأملك أنا نعجة واحدة

قال المفســرون: وقد يكنى بها عن المرأة فيكون الغرض أن عنده تسـعاً وتسـعين امرأةً وعندي امرأة واحدة

{ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا } أي ملكنِها واجعلها تحت كفالتي

{ وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ } أي غلبني في الخصومة، وشدَّد عليَّ في القول وأغلظ

{ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ } أي قال له داود لقد ظلمك بهذا الطلب حين أراد انتزاع نعجتك منك ليكمل ما عنده إلى مائة

{ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ } أي وإن الكثيرين من الشركاء ليتعدى بعضُهم على بعض

{ إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ } أي إلا المؤمنين الذين يعملون الصالحات فإنهم لا يبغون وهم قليل

{ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ } أي علم وأيقن أنما اختبرناه بهذه الحادثة وتلك الحكومة { فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ } أي طلب المغفرة من الله وخرَّ ساجداً لله تعالى، ورجع إليه بالتوبة والندم على ما فرط منه

قال أبو حيان: وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء، ضربنا عن ذكرها صفحاً، والذي يدل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم ظناً منه أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه، فلما اتضح له أنهم جاءوا في حكومة، وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قصَّ الله تعالى فاستغفر

من ذلك الظن، وخرَّ ساجداً لله عز وجل، ونحن نعلم قطعاً أن الأنبياء معصومون من الخطايا، إذ لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك لبطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون، فما حكى الله في كتابه يُمرُّ على ما أراده الله، وما حكى القُصَّاص مما فيه غضٌ من منصب النبوة طرحناه ثم قال تعالى

{ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ } أي فسامحناه وعفونا عنه ذلك الظن السيء بالرجلين قال ابن كثير: أي غفرنا له ما كان منه مما يقال فيه:

" حسناتُ الأبرار سيئات المقربين "

{ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ } وإِنَّ له لقربةً وكرامة بعد المغفرة

{ وَحُسْنَ مَآبٍ } أي وحسن مرجع في الآخرة

{ يٰدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلأَرْضِ } أي استخلفناك على الناس لتدبير شئونهم ومصالحهم

{ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ } اي فاحكم بينهم بالعدل وبشريعة الله التي أنزلها عليك

{ وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ } أي لا تتَّبع هوى النفس في الحكومات وغيرها فيضلك اتباع الهوى عن دين الله القويم، وشرعه المستقيم

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ } أي إن الذين ينحرفون عن دين الله وشرعه لهم عذاب شديد يوم القيامة

{ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ } أي بسبب نسياهم وتركهم سلوك سبيل الله، وعدم إيمانهم بيوم الحساب، لأنهم لو آمنوا به لأعدوا الزاد ليوم المعاد،

قال أبو حيان: وجعلُه تعالى داود خليفةً في الأرض يدلُ على مكانته عليه السلام واصطفائه له، ويدفع في صدر من نسب إليه شيئاً مما لا يليق بمنصب النبوة.

البَلاَغَة:

تضمنت الآيات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:
1-المجاز المرسل { كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ } القرن مائة عام والهلاك لأهله ففيه مجاز.

2-وضع الظاهر مكان الضمير { وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ } بدل وقالوا لتسجيل جريمة الكفر عليهم.

3-صيغة المبالغة في كل من { كَذَّابٌ } ،

{ ٱلْعَزِيزِ } ،

{ ٱلْوَهَّابِ } ،

{أَوَّابٌ}.

4-التنوين للتقليل والتحقير وزيادة { ما } لتأكيد القلة { جُندٌ مَّا هُنَالِكَ }.
5-تأكيد الجملة الخبرية بإن واللام لزيادة التعجب والإنكار { إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }.

6-الاستعارة البليغة { وفِرْعَوْنُ ذُو ٱلأَوْتَادِ } شبه المُلْك بخيمةٍ عظيمة شُدَّت أطنابها بالأوتاد لتثبت وترسخ ولا تقتلعها الرياح ففيه استعارة مكنيَّة وذكرُ الأوتاد تخييل.

7-الطباق { يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلإِشْرَاقِ } لأن المراد المساء والصباح.

8-أسلوب التشويق { وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ ٱلْخَصْمِ } ورد الأسلوب بطريق التشويق.

9-أسلوب الإطناب { وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ } الخ.

10-توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل

- { إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ..
- فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلأَسْبَابِ..
- جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّن ٱلأَحَزَابِ }

مما يزيد في روعة الكلام وجماله.

لطيفَة: روى ابن كثير أن أبا زرعة دخل على الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد أخبرني أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت القرآن وفقهت!

فقال يا أمير المؤمنين أقول؟

قال: قل في أمان الله،

قال يا أمير المؤمنين: أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام؟

إن الله تعالى جمع له بين الخلافة والنبوة ثم توعده في كتابه فقال

{ يٰدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ... } الآية، فكانت موعظة بليغة. 27

}وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ { 27 } *أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ { 28* } كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوۤاْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ { 29 } *وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ { 30* } إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ { 31 } *فَقَالَ إِنِّيۤ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ { 32 } *رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِٱلسُّوقِ وَٱلأَعْنَاقِ { 33 } *وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ{ 34 } * قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِيۤ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ* { 35 } فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ* { 36 } وَٱلشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ { 37 } *وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلأَصْفَادِ { 38 } *هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ* { 39 } وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ{ 40 } * وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ { 41 } *ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ

وَشَـــرَابٌ { 42 } *وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ{ 43 } * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِــغْثاً فَٱضْــرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَـــابِراً نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ { 44 }*وَٱذْكُرْ عِبَادَنَآ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْــحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلأَيْدِي وَٱلأَبْصَــارِ { 45 } *إِنَّآ أَخْلَصْــنَاهُمْ بِخَالِصَـــةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ{ 46 } * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْـــطَفَيْنَ ٱلأَخْيَارِ { 47 } *وَٱذْكُرْ إِسْــمَاعِيلَ وَٱلْيَسَـــعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلأَخْيَارِ{ 48 } * هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ{ 49 } * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلأَبْوَابُ { 50 } *مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ51 } * { وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ { 52 } *هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَـــابِ { 53 } *إِنَّ هَـــــذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ54}

المنَاسَبَة: لما ذكر تعالى إنكار المشركين للقرآن والرسالة والحشر والنشر، وأعقبها بذكر قصة داود تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام، ذكر هنا بعض البراهين على البعث والنشـــور، ثم بيَّن الحكمة من نزول القرآن، ثم تابع الحديث عن قصـــة ســـليمان بن داود تتميماً وتكميلاً للهدف الســـامي من ذكر قصـــص القرآن.
اللغَة: { ٱلأَلْبَابِ } العقول واحدها لبٌّ، ولبُّ الشيء صفوته وخلاصته ولذلك سُمي العقل لُبّاً

{ ٱلصَّــافِنَاتُ } الخيول الواقفة على ثلاثة قوائم وطرف حافر الرابعة جمع صــافن قال الفراء: الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل أو غيرها قال الشاعر:

تركنا الخيل عاكفةً عليه مُقلدة أعنَّتها صُفونا

{ ٱلْجِيَادُ } السِّراع السَّوابق في العدو قال المبرد: الجياد جمع جواد وهو الشديد الجري كما أن الجواد من الناس هو السريع البذل

{ تَوَارَتْ } اختفت { رُخَآءً } لينة أو منقادة حيث أراد { ٱلأَصْفَادِ } سلاسل الحديد والأغلال واحدها صفد وفي الحديث: " **صُفدت الشياطين** " أي ربطت بالسلاسل قال الشاعر:

فآبوا بالنِّهاب وبالسبايا وأُبنا بالمُلوك مصفَّدينا

{ ضِغْثاً } الضغث: حزمة من الحشيش أو غيره مختلطة الرطب باليابس، وأصله: الشيء المختلط ومنه " أضغاث أحلام " للرؤيا المختلطة.

التفسير: { وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً } أي ما خلقنا هذا الكون البديع بما فيه من المخلوقات العجيبة عبثاً وسُدى

{ ذَلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ } أي خلق ما ذكر لا لحكمة هو ظنُّ الكفار الفجار الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور

{ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ } أي فويلٌ للكفار من عذاب النار، ثم وبخهم تعالى على هذا الظنِّ السيء فقال

{ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلأَرْضِ }؟ أي هل نجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين؟

{ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ } أي أم نجعل الأخيار الأبرار كالأشرار الفجار؟ والغرض: أنه لا يتساوى في حكمته تعالى المحسن مع المسيء، ولا البرُّ مع

الفاجر، ففي الآية استدلال على الحشر والجزاء، وفيها أيضاً وعدٌ ووعيد قال ابن كثير: بيَّن تعالى أنه ليس من عدله وحكمته أن يســـاوي بين المؤمنين والكافرين، وإذا كان الأمر كذلك فلا بدَّ من جزاء يُثاب فيها المطيع، ويعاقب فيها الفاجر، وقد دلت العقول الســـليمة على أنه لا بدَّ من جزاء ومعاد، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد مالُه وولدُه ونعيمُه ويموت دون عقاب، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بدَّ في حكمه الحكيم العليم إنصـــــاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعيَّن أن هناك داراً أُخرى لهذا الجزاء والمواساة وهي الدار الآخرة.. ثم بيَّن تعالى الغاية من نزول القرآن وهي العمل والتفكر فقال

{ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ } أي هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك يا محمد كتابٌ عظيم جليل، كثير الخيرات والمنافع الدينية والدنيوية

{ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ آيَاتِهِ } أي أنزلناه ليتدبروا آياته ويتفكروا بما فيها من الأســـرار العجيبة، والحكم الجليلة

{ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ } أي وليتعظ بهذا القرآن أصـــحاب العقول الســـليمة قال الحســـن البصـــري: واللهِ ما تدبُّره بحفظ حروفه وإضـــاعة حدوده، حتى إنَّ أحدهم ليقول: واللهِ لقد قرأتُ القرآن فما أسقطتُ منه حرفاً، وقد أسقطه واللهِ كلَّه، ما يُرى للقرآن عليه أثرٌ في خُلُق ولا عمل.

اللهم اجعلنا ممن قرأه وتدبَّره وعمل بما فيه

{ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ } شروعٌ في بيان قصة سليمان بن داود عليهما السلام أي رزقنا عبدنا داود بالولد الصالح المسمَّى سليمان وأعطيناه النبوة قال المفسرون: المراد بالهبة هنا هبة النبوة كما قال تعالى

{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} [النمل: 16]

أي في النبوة، وإلا فقد كان له أولاد كثيرون غيره

{ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ } أي نعم العبدُ سليمان فإِنه كان كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والإِنابة

{ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ } أي اذكر حين عُرض على سليمان عشية يوم من الأيام - أي بعد العصر - الخيل الواقفة على طرف الحافر، السريعة الجري قال الرازي: وُصفت تلك الخيل بوصفين:

- الأول: الصفون وهو صفة دالة على فضيلة الفرس،
- والثاني: الجياد وهي الشديدة الجري،

والمراد وصفها بالفضيلة والكمال في حالي الوقوف والحركة، فإِذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإِذا جرت كانت سراعاً في جريها

{ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي } أي آثرت حبَّ الخيل حتى شغلتني عن ذكر الله قال المفسرون: عُرضت عليه آلاف من الخيل تركها له أبوه، فأُجريت بين يديه عشياً فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكرٍ له حتى غابت الشمس

{ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ } أي حتى غابت الشمس واختفت عن الأنظار

{ رُدُّوهَا عَلَيَّ } أي قال سليمان ردُّوا هذه الخيل عليَّ

{ فَطَفِقَ مَسْحاً بِٱلسُّوقِ وَٱلأَعْنَاقِ } أي فشرع يذبحها ويقطع أرجلها تقرباً إلى الله، لتكون طعاماً للفقراء لأنها شغلته عن ذكر الله

قال الحسن: لما رُدَّت عليه قال: لا والله لا تشغليني عن طاعة ربي ثم أمر بها فعقرت وكذلك قال السدي،

وأما قول من قال: إنها شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس فضعيف، لأنه لا يتصور من نبيٍ أن يترك صلاة العصر من أجل اشتغاله بالدنيا، والنصُّ صريح { عَن ذِكْرِ رَبِّي }

{ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ } هذه إشارة إلى ابتلاء آخر لسليمان ابتلي به، ثم تاب وأناب من تلك الهفوة والزلة، ولعلَّ هذه الفتنة ما روي في الصحيح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" قال سليمان: لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة، كلُّ واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ــ ولم يقل: إن شاء الله ــ فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفسي بيده: لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون"

قال ابن كثير: " وقد أورد بعضُ المفسرين آثاراً كثيرة عن جماعةٍ من السلف، وأكثرها أوكلُّها متلقاة من الإسرائيليات، وفي كثير منها نكارة شديدة "

واختار الإمام الفخر أن الفتنة المذكورة في الآية الكريمة يقصـــد بها فتنته في جسده، حيث إن سليمان ابتلي بمرضٍ شديد نحل منه وضعف، حتى صار لشدة المرض كأنه جسد ملقى على كرسـي، قال والعرب تقول في الضـعيف: إنه لحم على وضم، وجسم بلا روح، ثم أناب أي رجع إلى حالة الصحة

{ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِيۤ } أي اغفر لي ما صدر مني وأعطني ملكاً واسعاً لا يكون لأحدٍ غيري ليكون دلالة على نبوتي

{ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ } أي واسع الفضل كثير العطاء

{ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ } أي فذللنا الريح لطاعته إجابةً لدعوته

{ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ } أي تسير بأمره لينةً طيبة حيث قصد وأراد

{ وَٱلشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ } أي وسخرنا له الشياطين كذلك تعمل بأمره، منهم من يستخدمه لبناء الأبنية الهائلة العجيبة، ومنهم من يغوص في البحار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان

{ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلأَصْـــفَادِ } أي وآخرين من الشـــياطين – وهم المردة – موثوقون في الأغلال، مربوطون بالقيود والســـلاســـل لكفرهم وتمردهم عن طاعة سليمان

{ هَـٰــذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } أي وقلنا له: هذا عطاؤنا الواسع لك، فأعطِ من شئت وامنعْ من شئت، لا حساب عليك في ذلك، لأنك مطلق اليد فيما وهب الله لك الواسع لك من سلطة ومن نعمة

{ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْــــنَ مَآبٍ } أي وإِنّ له عندنا لمكانة رفيعة في الدنيا، وحسن مرجع في الآخرة

{ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ } هذه هي القصة الثالثة في هذه السورة، والإِضافة للتشريف أي اذكر يا محمد عبدنا الصــــالح أيوب عليه الســــلام، الذي ابتلي بأنواع البلاء فصبر.

{ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ } أي حين نادى ربه متضرعاً إليه قائلاً إني مسني الشيطان بتعبٍ ومشقة، وألمٍ شديد في بدني

قال المفســـريون: وإِنما نســـبَ ذلك إلى الشـــيطان تأدباً مع الله تعالى، وإِنْ كانت الأشـياء كلها خيرها وشـرها من الله تعالى، وكان أيوب قد أُصـيب في ماله وأهله وبدنه، وبقي في البلاء ثمان عشرة سنة، وقد تقدمت قصته

{ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ } أي وقلنا له اضرب برجلك الأرض فضربها فنبعت له عين ماءٍ صافية

{ هَـٰـذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } أي وقلنا له هذا ماءٌ تغتسل به، وشراب تشرب منه، فاغتســل منها فذهب ما كان بظاهر جســده، وشــرب منها فذهب كل مرضٍ كان داخل جسده قال أبو حيان:

{ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ } أي ما يُغتسل به

{ وَشَرَابٌ } أي ما يشرب منه،

- فباغتسالك يبرأ ظاهرك،

- وبشربك يبرأ باطنك،

والجمهور على أنه نبعت له عينان، شرب من إحداهما واغتسل من الأُخرى فشفي

{ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ } أي أحيا الله من مات من أولاده ورزقه مثلهم

قال الرازي: الأقرب أن الله تعالى متعه بصحته وبماله وقوّاه حتى كثر نسله وصار أهله ضعف ما كان وأضعاف ذلك وعن الحسن أنه أحياهم بعد أن هلكوا وقال أبو حيان: الجمهور على أنه تعالى أحيا له من مات من أهله، وعافى المرضى، وجمع عليه من شتت منهم

{ رَحْمَةً مِّنَّا } أي رحمةً منَّا به لصبره وإِخلاصه

{ وَذِكْرَىٰ لأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ } أي وعبرة لذوي العقول المستنيرة

قال ابن كثير: أي وذكرى لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج

{ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَٱضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ } أي وقلنا له خذْ بيدك حزمة من القضبان الرفيعة فاضرب بها زوجتك لتبرَّ بيمينك ولا تحنث

قال المفسرون: كان أيوب قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوطٍ إذا برىء من مرضه، وسبب ذلك أنها كانت تخدمه في حالة مرضه، فلما اشتد به البلاء وطالت به المدة وسوس إليها الشيطان: إلى متى تصبرين؟ فجاءت إلى أيوب وفي نفسها الضجر فقالت له: إلى متى هذا البلاء؟ فغضب من هذا الكلام وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة سوط، فأمره الله أن يأخذ حزمةً من قضبانٍ خفيفة فيها مئة عود ويضربها بها ضربة واحدةً ويبرَّ في يمينه، ورحمةً من الله به وبزوجه

التي قامت على رعايته، وصـــبرت على بلائه، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه

ولهذا قال تعالى { إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً } أي ابتليناه فوجدناه صابراً على الضراء

{ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ } أي نعم العبد أيوب إنه كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والإنابة والعبادة

{ وَٱذْكُرْ عِبَادَنَآ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلأَيْدِي وَٱلأَبْصَارِ }

أي اذكر يا محمد هؤلاء الأنبياء الأخيار وتأسَّ بهم، الذين جمعوا بين

- القوة في العبادة،
- والبصائر في الدين

قال الطبري:

- أي أهل القوة في عبادة الله،
- وأهل العقول المبصرة

{ إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ } أي خصصناهم بخصلةٍ خالصة عظيمة الشأن، هي عدم التفاتهم إلى الدنيا وتذكرهم للدار الباقية.

قال مجاهد: جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم همٌّ غيرها

{ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلأَخْيَارِ } أي وهم عندنا المختارون المجتبون على سائر الناس لأنهم أخيار أبرار

{ وَٱذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلأَخْيَارِ }

أي واذكر يا محمد هؤلاء الرسل أيضاً وكلٌّ من خيرة الله فاقتد بهم في الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله

{ هَـٰذَا ذِكْرٌ } أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من سيرة الرسل الكرام ذكرٌ جميلٌ لهم في الدنيا، وشرفٌ يذكرون به أبداً

{ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ } أي وإن لكل متقٍ لله مطيع لرسله لحسن مرجع ومنقلب،

ثم فسره بقوله

{ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلأَبْوَابُ } أي جنات إقامة في دار الخلد والنعيم قد فتحت لهم أبوابها انتظاراً لقدومهم

قال الرازي: إن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا المؤمنين فتحوا لهم أبوابها، وحيوهم بالسلام، فيدخلون كذلك محفوفين بالملائكة على أعزَّ حال، وأجمل هيئة { مُتَّكِئِينَ فِيهَا } أي متكئين في الجنة على الأرائك وهي السرر الوثيرة

{ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ } أي وهم متكئون على الأسرَّة يطلبون أنواع الفواكة، وألوان الشراب كعادة الملوك في الدنيا

قال ابن كثير: أي مهما طلبوا وجدوا، ومن أي أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام

قال الصاوي: والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي لأنه لا جوع في الجنة

{ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ } أي وعندهم الحور العين اللواتي لا ينظرن إلى غير أزواجهن أتراب أي في سنٍّ واحدة

{ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ } أي هذا جزاؤكم الذي وعدتم به في الدنيا

{ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ } أي هذا النعيم عطاؤنا لأهل الجنة لا زوال له ولا انقطاع ولا انتهاء أبداً

قال في الظلال: يبدأ هذا المشـــــهد بمنظرين متقابلين تمام التقابل في المجموع والأجزاء، وفي السِّمات والهيئات: منظر المتقين لهم

{ حُسْنَ مَآبٍ } ومنظر الطاغين لهم

{ شَـــرُّ مَآبٍ } فأما الأولون فلهم جنات عدن مفتحةً لهم الأبواب، ولهم فيها راحة الاتكاء، ومتعة الطعام والشـــراب، ولهم كذلك متعة الحوريات الشـــواب، وهنَّ مع شبابهن

{ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ } لا يتطلعن ولا يمددن بأبصـارهن، وكلهن شـواب أتراب، وهو متاع دائم، ورزق من عند الله ما له من نفاد.

55

}هَـٰــــذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَــرَّ مَآبٍ { 55 } *جَهَنَّمَ يَصْـلَوْنَهَا فَبِئْسَ
ٱلْمِهَادُ { 56 } *هَـٰـــذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ { 57 } *وَآخَرُ مِن
شَـكْلِهِ أَزْوَاجٌ { 58 } * هَـٰـــذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لاَ مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّـهُمْ
صَالُواْ ٱلنَّارِ59

*قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ

* { 60 } قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي ٱلنَّارِ

* { 61 } وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ ٱلأَشْرَارِ

* { 62 }أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلأَبْصَارِ{ 63 } * إِنَّ ذَلِكَ
لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ{ 64 } * قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـٰــــهٍ إِلاَّ
ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ{ 65 } * رَبُّ ٱلسَّـمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ
ٱلْغَفَّارُ{ 66 } * قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ { 67 } *أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ

* {68} مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ

{ 69 } *إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ{ 70 } * إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَـراً مِّن طِينٍ { 71 } *فَإِذَا سَـوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ{ 72} *

فَسَجَدَ ٱلْمَلاَئِكَةُ كُـلُّهُمْ أَجْمَعُونَ { 73 } *إِلاَّ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ { 74 } *قَالَ يٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْـــجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْـتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ { 75 } *قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ { 76 } *قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ

{ 77 } *وَإِنَّ عَلَيْـكَ لَعْنَتِيۤ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلـدِّينِ { 78 } *قَـالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيۤ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ* { 79 } قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ

{80} *إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ* { 81 } قَـالَ فَبِعِزَّتِـكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ { 82 } *إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِـــينَ {83 } *قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ { 84 } *لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنـكَ وَمِمَّن تَبِعَـكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ { 85 } *قُـلْ مَـآ أَسْـــأَلُكُمْ عَلَيْـهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَـآ أَنَـاْ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ{ 86 } * إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ87 } * { وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ{ 88

المنَاسَـــبَة: لمّا ذكر تعالى مآل الســـعداء المتقين، ثنَّى بذكر حال الأشـــقياء المجرمين، ثم ذكر بعض الأدلة على صـدق رسـالة محمد صـلى الله عليه وسـلم وختم السـورة الكريمة بذكر قصـة آدم وإِبليس وامتناعه عن السـجود لآدم، تحذيراً للـبشــر مـن عـدوهـم الأكـبـر ومـن وســـاوسـه وإِغـوائـه. اللغَة { غَسَّاقٌ } الغسَّاق: ما يخرج من لحوم الكفرة من الصديد والقيح والنتن

{ زَاغَتْ } مالت { سِخْرِيّاً } بكسر السين وهو الهزء والسخرية

{ مُّقْتَحِمٌ } الاقتحام: ركوب الشدة والدخول فيها ومنه اقتحام المخاطر

{ سَوَّيْتُهُ } أتممت خلقه على أكمل الوجوه

{ ٱلْعَالِينَ } المتكبرين، وعلا في الأرض: تكبر وتجبر

{ رَجِيمٌ } مرجوم بالكواكب والشهب.

التفسير: { هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ } { هَـٰذَا } خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره الأمرُ هذا وهي بمنزلة أما بعد،

ثم قال { وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ } أي وإِنَّ للكافرين الذين كذبوا الرسل، لشرَّ منقلب يصيرون إليه في الآخرة ثم فسَّر هذا المصير بقوله

{ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ } أي جهنم يذوقونها ويصلون سعيرها، وبئست جهنم فراشاً ومهاداً لهم قال ابن الجزي: لما تمَّ ذكر أهل الجنة ختمه بقوله

{ هَذَا } ثم ابتدأ بذكر وصف أهل النار، وعنى بالطاغين الكفار

{ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ } أي هذا هو العذاب الأليم فليذوقوه وهو الحميم أي الماء الحار المحرق، والغسَّاق وهو ما يسيل من صديد أهل النار

قال الطبري: في الآية تقديم وتأخير أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، والحميمُ الذين أُغلي حتى انتهى حره، والغسَّاق ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم

{ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ } أي وعذابٌ آخر من مثل هذا العذاب المذكور كالزمهرير، والسموم، وأكل الزقوم لهم منه أنواع وأصناف..

ثم حكى ما يقال للرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار فقال { هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لاَ مَرْحَباً بِهِمْ } أي تقول لهم خزنة جهنم: هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، ودخلوها بصحبتكم كما اقتحموا معكم في الجهل والضلال، لا أهلاً ولا مرحباً بهم { إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ } أي إنهم ذائقو النار، وداخلوها كما دخلتموها أنتم قال الرازي: والاقتحامُ ركوبُ الشدة والدخولُ فيها، وهذا من كلام خزنة جهنم لرؤساء الكفرة عن أتباعهم، والعرب تقول لمن يدعون له: مرحباً أي أتيتَ رحباً في البلاد لا ضيّقاً، ثم يدخلون عليها كلمة " لا " في د عاء السوء

{ قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ } أي قال الأتباع للرؤساء الطغاة الذين أضلوهم بل أنتم لا أهلاً بكم ولا مرحباً

قال المفسرون: عندما يدخل الأتباع جهنم تتلقاهم الرؤساء بقولهم

{ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ } أي لا تلقون هنا رحباً ولا خيراً – وهذه تحية أهل النار – كما قال تعالى

{ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا } [الأعراف: 38] فعند ذلك يقول لهم الداخلون { بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ } وهذا على حد قول القائل " تحيةُ بينهِم ضربٌ وجيع " فكذلك أهل النار يتلقون بعضهم باللعنات والشتائم بدل التحايا والسلام،

ثم يعلّل الأتباع ذلك بقولهم { أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ } أي أنتم قدمتم لنا هذا العذاب وكنتم السبب في ضلالنا، فبئس المنزل والمستقر لنا ولكم نار جهنم

{ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰـذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِـعْفاً فِي ٱلنَّارِ } هذا أيضـاً من كلام الأتباع دعوا الله أن يضـاعف العذاب لرؤسـائهم الذين أوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم

﴿رَبَّنَا هَـٰـؤُلاءِ أَضَـلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِـعْفاً مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: 38]

والضعفُ زيادة المثل قال البيضاوي: وقال الأتباع أيضاً { رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰـذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً } أي مضاعفاً وذلك أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين

{ وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ ٱلأَشْـرَارِ }؟ أي وقال الطغاة من رؤسـاء الكفر وأئمة الضـلال: ما لنا لا نرى في النار هؤلاء الذين كنا نعدُّهم في الدنيا من الأشـرار؟ يعنون بهم المؤمنين قال ابن عباس: يريدون أصـحاب محمد صـلى الله عليه وسـلم يقول أبو جهل: أين بلال، أين صـهيب، أين عمار؟ أولئك في الفردوس!

واعجباً لأبي جهل! مسكين،

- أسلم ابنه عكرمة،
- وابنته جويرية،
- وأسلمت أُمه،
- وأسلم أخوه
- وكفر هو

قال ابن كثير: هذا إخبار عن الكفار في النار، أنهم يفتقدون رجالاً كانوا يعتقدون أنهم على الضـلالة وهم المؤمنون، يقول أبو جهل: ما لي لا أرى بلالاً وعماراً

وصــهيباً وفلاناً وفلاناً؟ وهذا ضــربُ مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم، يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخلها الكفار افتقدوهم فلم يجدوهم، ثم قالوا { َتَّخَذْنَاهُمْ سِـــخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلأَبْصَـــار }؟ أي يؤنبون أنفســـهم قائلين: أجعلنا هؤلاء المؤمنين في الدنيا هزءاً وسخرية؟ أم هم معنا في النار ولكن لا نراهم؟

قال البيضاوي: إنكار على أنفسهم وتأنيبُ لها في الاستسخار من المؤمنين، كأنهم قالوا: ليسوا هٰهنا في النار؟

أم مالت عنهم أبصارنا فلا نراهم؟

قال تعالى {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُـــمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ } أي إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أقوال أهل النار وتخاصـــمهم، لهو الحقُّ الذي لا بدَّ وأن يتكلموا به، فنحن نخبرك عن قول الرؤساء

{ لاَ مَرْحَباً بِهِمْ } وقول الأتباع { بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ } من باب الخصومة

{ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ مُنذِرٌ } هذا شروع في بيان مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي إثبات الوحدانية، والمعاد، والجزاء أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إنما أنا رسولٌ من رب العالمين، أُنذركم وأخوفكم من عذابه إن لم تؤمنوا، ولســـتُ بســـاحرٍ ولا شاعر ولا كاهن

{ وَمَا مِنْ إِلَـٰـــــهٍ إِلاَّ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ } أي وليس لكم ربٌ ولا معبود إلا الواحد الأحد، الغالب على خلقه، القاهر لكل شيء

{ رَبُّ ٱلسَّـــمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } أي خالق جميع ما في الكون من الخلائق والعجائب، والمتصرف فيها بالإيجاد والإعدام

{ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ } أي الغالب على أمره الذي لا يُغلب، المبالغ في المغفرة لمن شاء من العباد

قال الرازي: لما ذكر أنه { قهار } وهذا مشعر بالترهيب والتخويف، أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب وذكر ثلاث صفات دالة على

- الرحمة،
- والفضل
- والكرم

وهي:

- " الرب،
- العزيز،
- الغفار "

فكونه

- رباً مشعر بالتربية والإحسان،
- وكونه عزيزاً مشعرٌ بأنه قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء،
- وكونه غفاراً مشعر بالترغيب وأنه يرجى فضله وثوابه،

فلو بقي الإنســـان على الكفر ســبعين ســنة، ثم تاب فإن الله ســبحانه يغفر له برحمته جميع ذنوبه، ويمحو اســـمه من ديوان المذنبين، ويوصـــله إلى درجات الأبرار

{ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُـــونَ } أي قل لهم يا محمد: إن هذا القرآن الذي جئتكم به هو نبأ هام وأمر عظيم الشأن، أنتم عنه غافلون لا تلتفتون إليه ولا تعلمون قدره

{ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِـــمُونَ } أي من أين لي العلم باختلاف الملائكة في شأن خلق آدم لولا الوحي المنزل عليَّ؟

قال ابن جزي: والقصدُ الاحتجاج على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بأمور لم يكون يعلمها قبل ذلك، والإشـــارة الى اختصـــام الملائكة هو ما جاء في قصـــة آدم حين قال تعالى لهم }**إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً**{ [البقرة: 30] حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن

{ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } أي ما يوحى إليَّ إلا لأني رسولٌ مرسل إليكم لأنذركم عذاب الله، ومعنى النذير المنذر المخوّف من عذاب الله،

ثم شرع تعالى في ذكر قصة آدم

فقال { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَـــراً مِّن طِينٍ } أي اذكر حين أعلم ربك الملائكة أنه سيخلق إنساناً من طين وهو آدم عليه السلام

{ فَإِذَا سَــوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَــاجِدِينَ } أي فإذا أتممتُ خلقه ونفخت فيه الروح فاسجدوا إكراماً له وإعظاماً قال القرطبي: وهذا سجود تحية لا سجود عبادة

{ فَسَجَدَ ٱلْمَلاَئِكَةُ كُــلُّهُمْ أَجْمَعُونَ } أي فسجد جميع الملائكة خضوعاً له وتعظيماً لأمر الله بالسجود له

{ إِلاَّ إِبْلِيسَ ٱسْــتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ } أي لكن إبليس استكبر عن طاعة الله وأبى السجود لآدم فصار من الكافرين

قال ابن كثير: امتثل الملائكة كلهم سوى إبليس، ولم يكن منهم جنساً كان من الجن، فخانه طبعه وجبلته فاستنكف عن السجود لآدم، وخاصم ربه عز وجل فيه، وادعى أنه خيرٌ من آدم، فكفر بذلك وطرده الله عن باب رحمته، ومحل أنسه، وحضرة قدسه

{ قَالَ يٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ }؟

أي: قال له ربه: ما الذي صرفك وصدَّك عن السجود لمن خلقته بذاتي من غير واسطة أب وأُم؟

قال القرطبي: أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً لآدم وإن كان خالق كل شيء، كما أضاف إلى نفسه الروح، والبيت، والناقة، والمساجد، فخاطب الناس بما يعرفونه

{ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ }؟ أي استكبرتَ الآن عن السجود أم كنت قديماً من المتكبرين على ربك؟ وهذا على جهة التوبيخ له لاستنكافه عن السجود

{ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ } أي قال اللعينُ أنا خير من آدم وأشرف وأفضل

{ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } أي لأنني مخلوق من النار، وآدم مخلوق من الطين، والنار خيرٌ من الطين، فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟

{ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } أي اخرج من الجنة فإنك لعين مطرود من كل خيرٍ وكرامة

{ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ } أي وأنت مبعدٌ عن رحمتي إلى يوم الجزاء والعقوبة ثم تلقى ما هو أفظع وأشنع من اللعنة

{ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ } أي أخرني وأمهلني إلى اليوم الذي تبعث فيه الخلائق من القبور قال أبو السعود: أراد بذلك أن يجد فسحةً لإغوائهم، ويأخذ منهم ثأره، وينجو من الموت بالكلية إذ لا موتَ بعد البعث فأجابه الله بأنه مؤخر إلى وقت النفخة الأولى لا إلى وقت البعث الذي طلبه

{ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ } أي إنك من الممهلين إلى وقت النفخة الأولى حيث يموت الناس وتنتهي مهمتك

{ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ } أي قال اللعين: أُقسم بعزتك لأُضلنَّ بني آدم أجمعين، إلا الذين أخلصتهم لعبادتك وعصمتهم مني { قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } أي قال تعالى أقسم بالحقِ ولا أقول إلا الحقَّ لأملأن جنهم منك ومن أتباعك

قال السُّدي: هو قسم أقسم الله به، وجملة " والحقَّ أقول " اعتراضية لتأكيد القسم

{ قُلْ مَآ أَسْـــأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَآ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ } أي قل لهم يا محمد: لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً، ولست من الذين يتصنعون ويتحيلون حتى انتحل النبوة وأتقوَّل القرآن

{ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } أي ما هذا القرآن إلا عظة وذكرى للإِنس والجن والعقلاء

{ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينِ } أي ولتعلمنَّ خبره وصدقه عن قريب،

وهذا وعيدٌ وتهديد

قال الحسن البصري: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

البَلاَغَة: تضـــمنت الآيات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

1ــــ المقـابلـة بين المؤمنين والمفســــدين، وبين المتقين والفجـار }أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـالِحَاتِ كَٱلْمُفْسِـدِينَ فِي ٱلأَرْضِ أَمْ نَجْعَـلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَـٱلْفُجَّـارِ{ [ص: 28] وهـذه من ألطف أنواع البـديع.

2. الكناية

}فَطَفِقَ مَسْحاً بِٱلسُّوقِ وَٱلأَعْنَاقِ{ [ص: 33] كنَّى عن العقر والذبح بالمسح وهي كناية بليغة.

3. الطباق بين

}فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ{ [ص: 39] لأنها بمعنى أعط من شئت، وامنع من شئت.

4. مراعاة الأدب

}أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ{ [ص: 41] أسند الضرر إلى الشيطان أدباً، والخير والشر بيد الله تعالى

5. الاستعارة التصريحية

}أُوْلِي ٱلأَيْدِي وَٱلأَبْصَارِ{ [ص: 45] استعار الأيدي للقوة في العبادة والأبصار للبصيرة في الدين.

6. المقابلة الرائعة

}هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلأَبْوَابُ{ [ص: 49ـ 50] ثم قابل ذلك بقوله { هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ } ويااله من تصوير رائع!

7ـ التأكيد بمؤكدين { فَسَجَدَ ٱلْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ } فقد أكده أولاً بلفظ كل ثم بلفظ أجمعون.

8. مراعاة الفواصل وهي من خصائل القرآن { وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ ٱلأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ } فمثل هذا البيان الرائع والجرس العذب، يسري في النفس سريان الروح في الجسد، وأقسم بالله أنني أشعر بهزة في نفسي كلما قرأتُ القرآن، لما له من

وقع عذب على السمع، وأحياناً أجدني أتمايل طرباً بدون شعور، أكثر مما يتمايل المغرمون بالأنغام، وما ذلك إلا لروعة البيان في هذا القرآن، وصـــدق رســول الله حين قال "إن من البيان لسحراً ".

http://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=0&tTafsirNo=83&tSoraNo=38&tAyahNo=55&tDisplay=yes&Page=5&Size=1&LanguageId=1